# الفصل الأول

## الإسلام والفن والجمال

- إدخال السرور على المسلم .
- المفهوم الإسلامى للفن .
- الفن والأخلاق .
- الفنون الحديثة والإبداع التربوى .

## إدخال السرور على المسلم

الإسلام دين الشمول ، يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة ، ويضع مصلحة الإنسان فى المكانة التى تليق به وبخلافته ، وهو يرعى شؤون البشر بشكل عام والمجتمع المسلم بشكل خاص ، بما يتلاءم مع الدور الذى ارتضاه تعالى لهم ، والتكاليف الشرعية التى افترضها عليهم .

ولقد حرص الإسلام على تصحيح مفهوم ونظرة الناس إلى الخالق والكون والحياة، ذلك أن مفهوم التدين فى فترات الانحراف البشرى،والابتعاد عن المصادر الصحيحة للوحى انحرف عن حقيقته وبات محصوراً فى زوايا المعابد والصوامع، وبات أكثر الناس يتصورون الدين حرماناً من الحياة ومباهجها،حتى ابتدع البعض التبتل والرهبانية والانقطاع عن شهوة الجسد،ونظروا إلى العلاقات الجنسية نفسها نظرة تحريم قاسية ولوكانت ضمن إطار الزواج الشرعى،ومنهم من اعتنق فلسفة تعذيب الجسد طريقاً إلى الخلاص،واعتبر الحرمان هو أبو الإخلاص للخالق بزعمهم؛ فنظروا شذراً إلى كل متنعم ،و إلى كل مستمتع، بغض النظر عن مشروعية تنعمه وأبواب الحلال التى يسعى إليها .

وفى عصور التراجع الحضارى وظلام الجهل فى فترات متقطعة ألقت بظلالها الثقيلة على عالمنا الإسلامى، اتجه بعض المسلمين اتجاه الزهد فى الدنيا ، لا بمعنى الترفع عن دناياها واجتناب شهواتها القاتلة واستدراجاتها ذات المنزلق الخطير ، وإنما بمعنى التخلى عن صناعة الحياة والمساهمة فى بنائها ،والانخراط فى مختلف ميادينها .

وفى حمأة ذلك كله يغيب عن الذاكرة دعوة النبى ﷺ وتوجيهه الكريم للمسلمين إلى عمارة الأرض، والقيام بدور الاستخلاف وشكر الله تعالى بطاعته والتمتع بما خلق كما أمر ، وهو القائل :« إن أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم » .

وما أحوج المكتبة الإسلامية فى زماننا هذا إلى كتابات تبين لنا حدود المباح، وحدود المحرم فى مسألة الفنون،وتوضح لنا كيف كان النبى ﷺ والصحابة والتابعون يعيشون

حياتهم اليومية فى هذا الجانب؛ من الحاجة الإنسانية للترويح والاستراحة من متاعب العمل اليومى وضغطه ، لا سيما ووسائل الترفيه وأسبابه وإغراءاته باتت صناعة رائجة، لها عالمها الخاص وإمكاناتها التى تتبارى فيها الشركات والمؤسسات ، ولسنا نبالغ فى القول: إن الدول اليوم باتت مطالبة بتقديم خدمات الترفيه، وتوفير فرص الابتعاد عن ضغط الحياة اليومى ؛للحفاظ على التوازن النفسى لدى الفرد والجماعة .

والدعوة إلى ذلك لا تنطلق من باب الدعوة إلى التفلت وترك الأولى أو إهمال العزائم ومقومات الورع ، وإنما تنطلق من باب شكر الله تعالى على نعمائه ، وتعبده بحلاله ، وينسب للإمام الشوكانى قوله :« إن التنزه عن الحلال ليس من الورع » ، ويقال :إن أحدهم امتنع عن شرب العسل أمام الإمام الثورى ، فسأله الأخير : لم أمسكت عن شرب العسل ؟ فقال : أخشى ألا أؤدى شكره ! فقال له الإمام: وهل تؤدى شكر الماء البارد ؟!

إننا نحتاج فى عصرنا الحاضر أن نعيد النظر فى بعض المسلَّمات التى يغلب على ظننا أنها من الدين، وأن مخالفتها مخالفة شرعية تستوجب غضب الله تعالى، ولا ننكر ضرورة توفير الجو السليم والوقوف فى وجه موجات الإفساد،ذلك أن أبواب الحلال تحتاج إلى إقفال أبواب الحرام ، كما أن إطالة لائحة المحرمات دون توفير البديل الحلال ليس من الإسلام فى شىء، والأصل فى الأشياء الإباحة إلا ما نص الشرع على تحريمه.

**ساعة وساعة** (١) :

إن الإسلام دين واقعى لا يحلق فى أجواء الخيال والمثالية الواهمة ، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع ، ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع ،ولكنه يعاملهم بشراً يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ؛ لذلك لم يفترض فيهم ولم يفرض عليهم أن يكون كل كلامهم ذكراً ، وكل صمتهم فكراً ، وكل سماعهم قرآناً ، وكل فراغهم فى المسجد ، وإنما اعترف بهم وبفطرهم وغرائزهم التى خلقهم الله عليها ، وقد خلقهم سبحانه يفرحون و يمرحون ، ويضحكون ويلعبون ، كما خلقهم يأكلون ويشربون .

ولقد بلغ السمو الروحى ببعض أصحاب النبى ﷺ مبلغاً ظنوا معه أن الجد

(١) د . يوسف القرضاوى: الحلال والحرام فى الإسلام ،المكتب الإسلامى ،ص ٢٨١ ـ ٢٨٣ بتصرف .

الصارم، والتعبد الدائم لابد أن يكون ديدنهم ، وأن عليهم أن يديروا ظهورهم لكل متع الحياة وطيبات الدنيا ، فلا يلهون ولا يلعبون ، بل تظل كل أفكارهم وأبصارهم متجهة إلى الآخرة ومعانيها ، بعيدة عن الحياة ولهوها .

ولنتأمل حديث هذا الصحابى الجليل حنظلة الأسيدى، وكان من كتاب رسول الله ﷺ ، قال يحدثنا عن نفسه :

لقينى أبو بكر ، وقال : كيف أنت يا حنظلة ؟

قلت : نافق حنظلة !!

قال : سبحان الله ، ما تقول ؟!

قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا ( لاعبنا ) الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً !!

قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا !!

قال حنظلة :فانطلقت مع أبى بكر حتى دخلنا على الرسول ﷺ .

قلت : نافق حنظلة يا رسول الله !

فقال رسول الله ﷺ : «وماذاك »؟!

قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، ونسينا كثيراً !

قال الرسول ﷺ :« والذى نفسى بيده ، إنكم لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ،ساعة وساعة » ، وكرر هذه الكلمة ـ ساعة وساعة ـ ثلاث مرات ، رواه مسلم .

فنرى من هذا مدى الدعوة إلى تحقيق الانسجام بين المادة والروح داخل الإنسان ، وكانت حياته ﷺ مثالاً رائعاً للحياة الإنسانية الكاملة ؛ فهو فى خلوته يصلى ويطيل الخشوع والبكاء والقيام حتى تتورم قدماه ، وهو فى الحق لا يبالى بأحد فى جنب الله ، ولكنه مع الحياة والناس بشر سوىٌ يحب الطيبات ، ويبش ويبتسم ، ويداعب ويمزح ، ولا يقول إلا حقاً .

كان ﷺ يحب السرور وما يجلبه، ويكره الحزن وما يدفع إليه من ديون ومتاعب ،

ويستعيذ بالله من شره ، ويقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن » أبو داود .

وكذلك كان أصحابه الطيبون الطاهرون، يمزحون ويضحكون ،ويلعبون ويتندرون ، معرفة منهم بحظ النفس، وتلبية لنداء الفطرة ، وتمكيناً للقلوب من حقها فى الراحة واللهو البرىء لتكون أقدر على مواصلة السير فى طريق الجد الطويل .

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : إن القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة .

وقال: روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلب إذ أكره عمى .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إنى لأستجم نفسى بالشىء من الباطل ، ليكون أعون لها على الحق .

**الوسطية والاعتدال :**

يبدو أن هناك خلطاً عند بعض الناس بين الحزم والجدية وضبط الغرائز والشهوات، وبين المرح والضحك والسرور والتمتع بمباهج الحياة حتى فى حدود المباح ، هذا الخلط يأتى نتيجة لعوامل متعددة جميعها لها صلة بالتربية والتكوين ، ونوع الثقافة السائدة فى وقت ومكان ظاهرة الخلط تلك ، من هنا تأتى أهمية وقيمة الوسطية والاعتدال فى التوجه العام للفكر الإسلامى والأخلاق الإسلامية .

والإمام أبو حامد الغزالى يتحدث عن الاعتدال فى كبح جماح النفس وضبط شهواتها ، فيقول: « ليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية ، بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذى هو وسط بين الإفراط والتفريط ، وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال ، فدل على أن ذلك ممكن ، والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك لا شك فيها ، والذى يدل على أن المطلوب هو الوسط فى الأخلاق دون الطرفين ، أن السخاء خلق محمود شرعاً وهو وسط بين التبذير والتقتير » .

وتأكيداً لذلك نلاحظ فى الحياة اليومية أن أكثر الناس توفيقاً ونجاحاً، وأكثرهم قبولاً لدى الآخرين من كان فى خلقه وتصرفاته يتصف بالاعتدال والتوازن، وقد أشاد الله تعالى بأهمية الوسط والتوسط فى كل الأمور فى قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [ البقرة : ١٤٣ ] ، والاعتدال مطلوب فى كثير من أمور الحياة والعلاقات العامة ، والمجتمع الذى تقوم ثقافته على أنماط متداخلة من النشاطات والسلوك المعتدل لا يمكن أن تغيب فيه أبعاد البهجة والمسرة

والطرب فى حدود العفاف والطهر واحترام الحقوق العامة للمجتمع الإسلامى .

وقد كان المجتمع الإسلامى الأول يعكس ذلك الاعتدال ، وكان كبار الصحابة فيه يفعلون ما يشيع أجواء البهجة والسرور ، فلا بأس على المسلم أن يتفكه ويمزح بما يشرح صدره ، ولا حرج عليه أن يروح عن نفسه ونفوس رفقائه بلهو مباح .

إن عالم اليوم وثقافته تطرح الكثير من الأزمات والمشكلات ، ومن أخطرها الأمراض النفسية والعصبية ، وقد جاءت هذه الأمراض لتعكس حالات من الكآبة والبؤس على أعداد كبيرة من البشر ، تلاحظهم فى الشوارع ووسائل المواصلات ودواوين الحكومة ، والبلدان الإسلامية تحوى صوراً متعددة من الكآبة والحزن والتجهم والعبوس ، وعلاج هذه الأزمات يصعب أن يجرى ويتم فى العيادات النفسية فحسب ، لكن العلاج الفعلى هو الذى يأتى من المجتمع ومن ثقافة المجتمع ؛ ثقافة الحنان والمودة والرحمة ، ثقافة البهجة التى تصدر من القلوب صادقة جميلة ، ذلك هو الدور الذى نريده لثقافتنا الإسلامية ، وذلك ما نريده لدور ورسالة هذه الثقافة إذا استطاعت أن تتخلص من عناصرها السلبية ، ومن التشوهات التى أصابتها فى عصور انحطاط المسلمين ، ولا تزال آثار ذلك الانحطاط تلقى بظلالها على مسرح حياتنا الاجتماعية ، ولا تزال تطارد مظاهر البهجة فى كثير من عاداتنا وسلوكنا ، وتحرم ـ حتى الأطفال ـ من البهجة البريئة ، إن ثقافتنا الإسلامية فى منابعها ثقافة متوازنة ، مؤسسة على الحب والتعاون والتضامن فى السراء والضراء ، وهى ثقافة بهجة وسرور ، وثقافة تيسير وتبشير وجمال [1] .

---

(١) محمود محمد الناكوع : مجلة الوعى الإسلامى ، عدد ٣٤٦ ، ص ٥٨ .

## المفهوم الإسلامى للفن

يقوم المفهوم الإسلامى للفن على استحالة التناقض مع الفطرة ، فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة ـ دين الإسلام ـ فى شىء ، فإذا خالفت الفنون الدين ، ودعت صراحة أو ضمناً إلى رذيلة مما جاء الدين لمحاربتها، وعاقت الإنسان عن العمل بالفضائل التى التى جاء الدين لإيجابها على الإنسان؛ حتى يبلغ ما قدر له من الرقى فى الروح والنفس ، وإذا خالفت الفنون الدين فى شىء من هذا ، أو فى شىء غير هذا ، فهى فنون باطلة جانبت الحق وأخطأت الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

ومفهوم الفن فى الإسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر الفكر ، يتكامل مع الأدب والاجتماع والأخلاق والدين والحضارة ، وهو فى الإسلام له طابعه الأصيل الواضح المباين لمفهوم الفن فى الثقافات والحضارات الأخرى ، وقوامه الأخلاق وطابعه التوحيد ، يتسامى بالغرائز ويرقى النفس دون البعد عن الواقع .

والفن فى نظر الإسلام أداة تجميل الحياة ، ووسيلة الإسعاد الروحى والنفسى ؛ بتحرير الإنسان من عالم الأهواء والغرائز وإطلاقه فى نظرة حرة إلى الكون والوجود يعرف فيها قدرة الله وعظمته ويزداد بها إيماناً .

وقد كان الفن اليونانى بطابعه المادى والوثنى يجعل الأولوية للتماثيل المجسمة؛ إعجاباً بالأجساد وعبادة لصور الجمال ومظاهر القوة ، ولكن الفن الإسلامى يجعل البيان والشعر والأدب فى مقدمة قائمة الفنون ، فهو يستمد مقوماته الأساسية من الكلمة البليغة والفكرة الموحية وذلك انتقالاً من عالم المادة إلى عالم الفكر ، فالتأمل أوسع العوالم ، والتفكر فى خلق الله أعظم معطيات العقل والروح : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [ القلم ] ، وبذلك أصبح رائد الفن : البيان الذى يتمثل فى أسمى صوره بالقرآن الكريم ، وبذلك دفع الإسلام الفن البشرى للأمام انتقالاً من مفهوم الماديات فى الفن إلى مفهوم المعنويات ، وبذلك فقد حرر البشرية من مفهوم المادية الخالصة ،التى تقدس الجسد والشهوات والغرائز والوثنيات وتقيم لها المهرجانات والطقوس ، ودفع

البشرية إلى الانتقال من تجسيد البطولة فى صورة مادية إلى تكريم عمل الإنسان نفسه[1].

**الدين والفنون النظيفة :**

من عظمة الإسلام أن فيه من عناصر السعة والمرونة طاقات لا حدود لها تتناول جوانب الحياة كلها ، فطبيعة الإسلام الشمول والتوازن والواقعية ، والحياة البشرية يجب أن تسير على هذه الخطوط ، ولا يتحقق هذا إلا بالتزام منهج الله الذى يوازن بين المادة والروح ، بين العمل والعبادة ؛ بين الجد واللهو المباح .

وقد استقر فى أذهان البعض أن ثمة تنافرا وخصامًا بين الفنون والإسلام ، فهم يرون أن الأخلاق هى قوام الإسلام ، بينما الفن ـ الذى يرونه ـ قد تحرر من كل قيد أخلاقى ، وهذا الذى استقر فى أذهانهم ـ مع تأكيدنا على خطئه ـ قد ساعد فى ترسيخه واقع الفن الهابط ـ غالباً ـ الذى يخوض فى جلّ أعماله فى تجسيد الصورة العارية ، والنظرة العارية ، والفكرة العارية !!

إن إيجاد فنون نظيفة جزء من المفهوم الإسلامى للفن ؛ بشرط أن تقوم على قاعدة تصوير أو تجسيد الجمال فى الكون والحياة والإنسان وتعبر عنه فى عمل نظيف ، وأداء نظيف ، فنون لا تزين الفاحشة ؛ لأنها ليست جمالاً ، لكنها انحدار وهبوط وقبح ، ولا تزين لحظة الضعف البشرى، لأنها لحظة غفلة وضياع وتقصير ، ولا تزين الانحراف والشذوذ ، ولا تزين عبادة الشيطان والهوى و الشهوات واللذاة ؛ لأنها فترات انحطاط وضياع وسحق للإنسان الذى كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق ، لقد أراد الإسلام للمسلم أن يتحرر من كل القيود والأثقال الزائفة التى تزرى به وتحط من قدره ، يقول تعالى : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾** ﴾ [ التين ] .

لقد أصبح للفن والحضارة الحديثة دور خطير فى الدعوة إلى المذاهب المادية، هذا الدور صار يصارع الدعوة المباشرة عن طريق الخطابة أو الكتابة ويزيد عليها ، فالقصة والمسرحية قد يؤثر إيحاؤها فى وجدان الإنسان وينشرح لها صدره ، ولقد استطاعت الوسائل الحديثة من مرئيات ومسموعات؛ بما لها من إبداع فنى أن توجه قطاعات واسعة

(١) أنور الجندى : الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، دار الاعتصام ، ص ٣٨، ٣٩ .

من الجماهير فى شتى بقاع الأرض ، وتقودها حيث تريد ، وأصبح هذا الجمهور يتلقى ثقافته ومفاهيمه من هذه الأجهزة التى استولت عليه ، وفى فترات الجد و الجهاد يمكن لهذه الأجهزة أن تجسد القيم الإيمانية ، ويؤدى الفنانون الملتزمون والشعراء دوراً إيجابياً فى تعبئة الأمة ودفعها للأمام بما يقدمونه من نماذج إيمانية مجاهدة .

إننا فى أشد الحاجة إلى فن إسلامى نظيف صادق ملتزم بمفاهيم الإسلام الصحيحة؛ لأن دور الفن الإسلامى خطير وعظيم وخاصة حين يتصدى لدواعى الفتنة والتخبط الذى يحيط الأمة ؛ فدور الفن أن يقدم نموذجاً صالحاً للحياة والإنسان ، نموذجاً يقرب الإنسان من ربه ، ويصله بالقيم العليا ، حتى تتجاوب الأمة مع هذا التوجه الذى يحضها على فعل الخير وصنع الجميل ، وينهاها عن فعل الشر و إتيان القبيح والخبيث ، والحياة الإسلامية تشكل وحدة متكاملة ، إذا قوى عنصر فيها قويت جميع العناصر وتماسكت ، وإذا ضعفت حلقة منها تساقطت باقى الحلقات ، والفنان المسلم الملتزم بالإسلام فى حياته الخاصة وسيرته العامة ، هو الذى يستطيع بالوسائل المتاحة أن يقود نهضة ، وهو العملة الصعبة والنادرة اليوم ، فلا بد من أن يكون الكاتب والفنان والمخرج من المؤمنين بالإسلام ، ومن أصحاب القدوة فى زمن قلَّ فيه الناصح الأمين ، والدليل الهادى ، والحادى والمعين ،والمناخ الصالح،وحين يوجد هذا النوع فى واقع الحياة ؛ عندها تتحسن صورتهم فى المجتمع ، ويتحسن تصور الناس للفن [1] .

## ماهية الفن الإسلامى :

يقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه « منهج الفن الإسلامى »: الفن عموماً فى أشكاله المختلفة، هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذى يتلقونه فى حسهم من حقائق الوجود فى صورة جميلة موحية مؤثرة .

والدين يلتقى فى حقيقة النفس بالفن ، فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة ، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال ، وكلاهما ثورة على آلية الحياة .

والفن الإسلامى ليس بالضرورة هو الفن الذى يتحدث عن الإسلام ، وهو على وجه اليقين ليس الوعظ المباشر والحث على اتباع الفضائل ، وليس هو كذلك حقائق

(١) محمد عبد الله الخطيب :الدين والفن ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ص ٩ ـ ١١ بتصرف .

العقيدة المجردة مبلورة فى صورة فلسفية ، إنما هو الفن الذى يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامى لهذا الوجود ، هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان .

وهو الفن الذى يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق ، فالجمال حقيقة فى هذا الكون ، والحق هو ذروة الجمال ؛ ومن هنا يلتقيان فى القمة التى تلتقى عندها كل حقائق الوجود .

إن الأسس التى انطلق منها الفن الإسلامى لم تكن أسساً استهلاكية ، بل لا يمكن أن ينظر إلى الفن الإسلامى على أساس أنه فن استهلاكى أو تزيينى ، فهو أولاً فن وجد لحاجة الناس إليه ، ومن ثم لمعرفتهم،أو لمواكبة حالة الوعى لديهم وتعميقها وتأصيلها ، وقد يكون مثل هذا الأمر واضحاً أكثر حينما نحلل أسس فن العمارة الإسلامية الذى يجمع ما بين فائدة الناس من جهة ، وإمتاعهم من جهة أخرى بالجماليات التى يوفرها لهم ، عبر مختلف فروع هذا الفن ، والفنون الأخرى » .

ومن المهم أن نقرر هنا أن الفن الإسلامى فن موجه ؛ موجَّه بطبيعة التصور الإسلامى للحياة وارتباطات الكائن البشرى فيها ، وموجه بطبيعة الفكرة الإسلامية ذاتها، وهى طبيعة حركية دافعة للإنشاء والإبداع ، والترقى والارتفاع ، ولا يعنى هذا التوجيه الإجبارى على نحو ما يفرضه أصحاب مذهب التفسير المادى ، وإنما يعنى تكيف النفس البشرية بالتصور الإسلامى للحياة ، هو وحده سيلهمها صوراً من الفنون غير التى يلهمها إياها التصور المادى ، أو أى تصور آخر ؛ لأن التعبير الفنى لا يخرج عن كونه تعبيراً عن النفس ، كتعبيرها بالصلاة أو السلوك فى واقع الحياة ، والإسلام عموماً لا يحارب الفنون ذاتها ،ولكنه يعارض بعض التصورات والقيم التى تعبر عنها هذه الفنون ، ويقيم مكانها ـ فى عالم النفس ـ تصورات وقيمًا أخرى قادرة على الإيحاء بتصورات جمالية إبداعية ، وعلى إبداع صور فنية أكثر جمالاً وطلاقة ، تنبثق انبثاقاً ذاتياً من طبيعة التصور الإسلامى ، وتتكيف بخصائصه المميزة [1] .

## توازن الفن الإسلامى:

وفى تحديد أكثر لملامح وتوجهات الفن الإسلامى، يقول الأستاذ محمد قطب فى كتابه « منهج الفن الإسلامى » : إنه الفن الذى يعنى عناية خاصة بحقيقة الشمول

(١) سيد قطب : مرجع سابق ، ص ١٠١، ١٠٢ .

والتكامل فى النفس البشرية ، فلا يجب مثلاً أن يعرض الجانب المادى من الإنسان وحده بمعزل عن الجانب الروحى ، ولا يجب أن تعرض الصراعات الاقتصادية والطبقية كأنها الحقيقة الكاملة للحياة البشرية ، وتغفل بجانبها القيم المعنوية والروحية والأشواق الإنسانية العليا ؛ لأن ذلك بتر للحقيقة البشرية وتشويه لصورتها ، إنه يجب ـ وخاصة فى الفنون التى تعرض بطبيعتها رقعة واسعة من الحياة كالقصة والمسرحية ـ أن تعرض الصورة كاملة ، بمادياتها ومعنوياتها ، وقيمها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية ، مترابطة متداخلة ممتزجة كما هى فى حقيقة الواقع ، مؤثرة كلها بعضها فى بعض ، ومتأثرة كلها بعضها ببعض ، مع إبراز القيم الروحية والمعنوية ؛ لأن بروزها ذلك حقيقة كونية متصلة بصميم فطرة الإنسان ، الذى لم يصبح « إنساناً » مكرماً إلا بنفخة الروح العلوية فى قبضة الطين .

أما الفنون التى تعرض بطبيعتها لمحة من الحياة البشرية فى لحظة معينة كاللوحة والقصيدة ، فالإسلام يرحب بها ، باللمحة الروحية والأشواق العليا أكثر مما يرحب بالحقيقة المادية وأشواق الجسد الغليظة ، تمشياً مع نظرته العامة التى ترى الروح أبرز فى كيان الوجود وأحق بالإشادة والتسجيل ، وليس معنى ذلك أن الحديث عن الصراع الطبقى فى قصيدة أو لوحة أمر غير مباح ، كلا ! ولكن معناه أن يعرض الموضوع من خلال عذابات الروح .

أما حين تعبر القصيدة أو اللوحة أو اللحن الموسيقى عن أشواق الروح العليا ورفرفاتها الطائرة وسبحاتها الطليقة ، فذلك فى نظر الإسلام فن صادق أصيل ؛ لأن هذه هى اللمحة المناسبة للتسجيل ، اللمحة التى تحقق للإنسان كيانه الأعلى وتكمل له وجوده الأرضى المحدود .

وليس معنى ذلك أن تقتصر هذه الفنون على الرفرفات والسبحات ، وإلا فأين يذهب الألم والمواجع والأحزان ؟

إنما نريد فقط أن نرد لهذه الرفرفات والسبحات قيمتها الفنية ، وقيمتها الإنسانية فى وسط الصراع الطبقى والتفسير المادى للفنون ، ويرسم الإسلام صورة الحياة البشرية من خلال « الواقع » ، كما يرسمها من خلال التكامل والشمول .

وكذلك قصة « الضعف البشرى » ، فهو سمة من سمات الكائن الإنسانى ،

ولكنها ليست كل سماته ، فإلى جانب لحظات الضعف البشرى توجد جوانب القوى ، وحياة البشرية ليست كلها « لحظة ضعف » ،بل ليست كذلك حياة أى حيوان راق أو طير ، فإذا جعلنا لحظة الضعف تشغل مساحة « العمل الفنى » كله وتحجب بقية اللحظات ، فذلك مجافاة للواقع ، وإفساد للتناسق الذى ينبغى أن يحكم الفنون .

والإسلام « يعطف » على لحظة الضعف البشرى ، ولكنه لا يجعل منها « بطولة » تستحق الإشادة والإعجاب ، والفن الإسلامى يلم بلحظات الضعف ، ولكنه لا يملأ بها العمل الفنى ، ولا يقف يمجد للإنسان ضعفه،ويمثله له أمراً « واجب » الحدوث ، أو أمنية المتمنى ، ذلك أن التصور الإسلامى يقوم ابتداءً على أساس تكريم الإنسان، ومن ثم فهو لا يمجد الضعف البشرى ، وإن كان لا يحتقر الإنسان من أجله ، ثم يهتف له دائماً لينهض من الكبوة، وتستقر قدماه على الأرض الصلبة ، ويمضى صعداً إلى الأفق السامق الوضىء .

والفن الإسلامى أحد الموحيات القوية للنهوض والحركة والصعود ، لا بالوعظ المباشر ، ولكن بالإيحاء بما فى طاقة الإنسان من مكنونات ، وما فى الكون من موافقات لاستعداداته وطاقاته، وبذلك لا ينحصر الإنسان فى لحظة الضعف ولحظة الهبوط ، ولا يقف عندها يتطلع إليها فيسترسل فيها ولا يفيق .

والفن الإسلامى يوسع رقعة الحياة بوصل ما بين السماء والأرض ، والدنيا والآخرة ، وما بين الإنسان والكائنات الأخرى ، وما بين الإنسان الفرد والجماعة والإنسانية التى تعمر هذا الكوكب منذ حقب موغلة فى التاريخ ، وما تزال تتطلع إلى مستقبل بعيد .

وبهذا الشمول والتعدد والامتداد يصبح العمل الفنى أجمل وأكمل وأمتع ، ويصبح أزخر بالحياة والحركة من كل عمل فنى يعرض جانباً واحداً من الجوانب، ويهمل بقية عناصر الحياة .

والفنون التى تصر على أن تكون رقعتها فى الأرض وحدها بمعزل عن السماء؛ لأنها تستنكف أن يكون للقوى « الغيبية » دخل فى حياة الناس ،هى فنون حمقى تعمل على تضييق رقعتها وحرمان نفسها من فرص عديدة لابراز ألوان الجمال الفنى، كانت حَرية أن تهتدى إليها وتبرزها لولا هذا الإصرار الأحمق على فصل ما بين السماء والأرض من

صلات .

فهى أولاً : تعرض « الإنسان » فى صورة مشوهة مبتورة ، إذ تعرضه فى جانبه الأرضى وحده ؛ جانب الضرورات القاهرة ، والواقع المادى القريب المحسوس، ولا تعرضه ـ إلى جانب ذلك ـ فى جانبه الروحى العلوى ، وبذلك تقص من جناحيه المرفرفين، وتتركه جثة جاثمة على الأرض لا تقدر على التحليق .

وهى ثانياً :تخلى الصورة من جمال الحركة الخفية التى تدير الأحداث والأشياء والأشخاص وترتب لها موافقاتها ومفاجآتها ،حين تجعل «الأقدار» المسيطرة على هذه الأحداث والأشياء والأشخاص هى الأقدار المكشوفة المعلومة الملموسة المقدرة من صراع طبقى أو مشاعر جسدية ،أو قيم اجتماعية و اقتصادية تعطى لها قوة الحتمية والإجبار ، وذلك بدعوى الواقعية ، فى حين يصرخ الواقع الحقيقى الذى تدركة الفطرة الحقة فى وجه تلك الواقعية الزائفة :إن قوى الأرض كلها لا تملك أن تلد إنساناً بعينه فى بيئة أو ظروف معينة ، أو تضمن ألا يقع له كذا وكذا من الأحداث ، ومن ثم لا تغنى الأقدار المكشوفة عن قدر الله الملفع بالغيب ، المحجوب عن الأنظار ، والفن الإسلامى حريص على إبراز حقيقة أن قدر الله من وراء الأحداث ؛ وذلك لجملة أسباب :

**الأول** : أن هذه حقيقة واقعة ،لا تتم « واقعية الفن » دون إبرازها فى اللوحة الفنية .

**الثانى** : أن تتبع هذه الحقيقة وآثارها فى الحياة التى تعرضها الفنون المختلفة عملية ممتعة فى ذاتها ؛لأنها تستجيب لحقيقة فطرية داخل النفس؛هى حقيقة التطلع الدائم إلى قدر الله المجهول،والفن ـ ومن مهمته الإمتاع ـ قمين بأن يستجيب لهذه النزعة النظرية .

**الثالث** : أن رسم هذه الحركة الخفية التى تحرك الأحداث دون أن تظهر للعيان يعطى للوحة جمالاً أخاذاً لاستجابته لنزعة فطرية أخرى فى بنية النفس ، هى نزعة الإيمان بما لا تدركة الحواس ، وهى نزعة عميقة لا تقل أصالة وعمقاً عن نزعة الإيمان بما تدركه الحواس ، كلاهما خطّان متقابلان فى النفس البشرية ، يعملان معاً ، كلٌّ فى اتجاه ، وهذه النزعة تبرز القوى الخفية التى تملك السلطان ولا تبين !

**السبب الأخير**: أن هذا يمنح اللوحة سعة هائلة ،حين يجعل وراء الأقدار الظاهرة ، قدرًا خفيًا هو الذى يحركها ، وبذلك لا ينتهى « المنظر » عند هذه « المقاطع » الملموسة، وإنما يأخذ امتدادًا لا نهائيًا لاتصاله بالقوة الأبدية التى لا بدء لها ولا انتهاء » .

## الفن والأخلاق

يرتبط الفن والأخلاق بعلاقات متشابكة ، حتى ليصعب أحياناً أن نفصل بين حدود الفن وحدود الأخلاق ، وقد ظهرت آثار هذا الارتباط والتشابك فى تجاربنا اليومية ، وفى أحاديث العامة والأمثلة الشعبية ،وإن نظرة إلى الألفاظ التى ننطق بها فى كل مناسبة ، وإلى العبارات التى نعبر بها عن أحاسيسنا ، لتكفى للتدليل على ما يحدث فى أذهاننا من مزج بين معانى الفن ومعانى الأخلاق ، فقد كان اليونان فى العصر الإغريقى يجمعون فى كلمة واحدة مركبة صفتين ترمزان إلى « الجمال والخير » ، ونحن اليوم قد نصف قصيدة بأنها « لعينة »،وقد نصف لوحة زيتية بأنها « مرذولة »،وقد نصف صوتاً بأنه « حنون » ،وذلك دون أن نشعر بأننا نضفى على معانى الفن صفات الجمال .

وعلى الضد من ذلك قد نصف الحياة بأنها جميلة ، والعمل الطيب بأنه « رائع » ، والعمل الخبيث بأنه « قبيح » ، وذلك دون أن نشعر بأننا نضفى على المعانى الخلقية صفات جمالية .

وفى الأساطير والقصص الشعبية وأشكال الفن المسرحية ،اعتدنا أن نصور الخونة والسفاحين بوجوه دميمة مخيفة ، كما لو كنا نريد أن نثبت أن النفوس الخبيثة لابد أن تسكن أجسام قبيحة،واعتدنا أن نصور أبطال القصص الذين يمثلون الشهامة فى شكل جميل،كما لو كنا نريد أن نؤكد أن النفوس الطيبة لا تحويها إلا أجسام رشيقة متناسقة(١).

### رسالة الفن الأخلاقية :

إن رسالة الفن يجب أن تكون أخلاقية تهدف إلى إصلاح الإنسان والمجتمع ، بحيث يجب أن يتخذ الفن وسيلة لتربية الجمهور ، فإننا إذا عرضنا عليه صفات البطولة والفضائل الدينية ـ بطريق مباشر أو غير مباشر ـ عن طريق الفن؛فإن ذلك يشحذ همته، ويولد فى نفسه الانفعالات القوية التى تدفعه لطلب المجد بأن تستهدف تصرفاته تحقيق رضوان الله .

وقد ذكر أفلاطون أن الفن لكى يكون أخلاقياً يجب أن يقتصر على تصوير المعانى

(١) د . السيد محمد بدوى ـ مجلة الدوحة ـ عدد ٩٨ ـ ص ٢٧ .

الخيرة ، وألا يضع أمام أعيننا إلا الأمثلة الطيبة ،ولكن أنصاره من المحدثين يضيفون إلى ذلك قولهم : إن الخير الذى يؤثر فى النفوس يجب أن يكون نشيطاً معبراً عن أفعال قوية، وهذا النشاط يستوجب نوعاً من الكفاح،كما أن الكفاح يستوجب وجود خصم ، والخصم هو « الشر »، الذى قد يكمن فى نفوسنا ، وقد يكون خارجها ، وعلى ذلك يجب لإبراز فكرة الخير أن يهتم الفن بتصوير الشر ،ويجب أن يعود الشر إلى مكانته فى التصوير الفنى أو الأدبى ، بحيث يجب فى نهاية الأمر أن ينتصر الخير فى ضمير المتفرج أو القارئ بما يحفظ القيمة الأخلاقية للعمل الفنى .

إن الهدف الذى يجب أن يسعى إليه كل فنان هو إصلاح الأخلاق فى العصر الذى يعيش فيه ، واذا تخلى الفنان عن هذا الهدف ، فإنه لا يصبح أكثر من « أداة لتسلية الشعب » .

إن الفنان يمكن أن يبين موطن الداء ، وأن يشير إلى الجرح الذى يجب أن يلتئم ، وكثير من الشخصيات الشريرة التى يتم تصويرها فى الكتاب ، ثم تشخيصها فى المسرح أو السينما هى ذلك الجرح ، وإن الأعمال الفنية العظيمة لا يكتب لها الخلود إلا بما تثيره من الانفعالات الجامحة التى قد تكون أحياناً ميلاً نحو الشر .

والفنان الذى يؤدى رسالته يجب أن يكون ضميره مطمئناً إلى سمو الهدف من وراء إبراز عناصر الشر و الرذيلة ، على أن يستخلص منها فى النهاية درساً أخلاقياً بليغاً ، ومن غير المفهوم أن يكون العمل الفنى ضد الأخلاق إلا إذا هاجم قواعد المجتمع وثوابته الأخلاقية المستمدة من دينه وعقيدته ، أو حاول أن يبرز مميزات الرذيلة !!

ولكننا إذا افترضنا أن «عبقرياً » استطاع أن يحاول المستحيل ، ويخرج لنا مسرحية كل أشخاصها من « الفضلاء » فإنها لن تصمد لأكثر من ليلتين على المسرح .

وعلى ذلك فإن المبدأ الذى يجب أن يلتزم به الفنان ليحقق للأخلاق هيبتها عن طريق الفن فى حالة تصوير وتشخيص عناصر الشر ولحظات الضعف ، هذا المبدأ يمكن تلخيصه فى عبارة واحدة ، هى : « ضع أصبعك على الجرح ، ولكن لتعالجة ».

إن غاية الفن يجب أن تنزع إلى الخير ، وإلى تهذيب الإنسان وربطه بمكارم الأخلاق ، وبالقيم والمبادئ السامية ، وبالمعانى الجمالية الراقية ، والصلة وثيقة بين الجمال والأخلاق ، فالجمال خير ، والقبح شر . . وهكذا فبغرس أسس الجمال أداء

وتذوقاً ، ينمو الإنسان الذى يعشق الخير ويؤديه لجماله ولذاته ، ويلفظ الشر ، وينفر منه ويتجنبه ، لأنه قبيح يفسد عليه حياته ،وبكل مقومات القيم التى ورثها الإنسان فى تراثه الإسلامى دلائل لا تنضب لمحاولة الفنان المسلم عبر العصور أن يعكس إيمانه وفلسفته وهداية القرآن له ، فمن هذا النبع الفياض يأخذ الفن الإسلامى ويعطى ليبنى إنساناً يتسم سلوكه بالأخلاقيات الحميدة .

إن غاية الفن أن يتخلق الإنسان بالأخلاق التى شرعها الله ثم يحقق خلافة الله على الأرض ، فالفن مقصوده الأساسى تقوية النفس ، والفن يعبر عن نفس قوية لا تحاكى الطبيعة ، ولا تقلد غيرها ، ولكنها تصوغ الفن من دمها ونبضها وتؤثر به فى الحياة .

## مذهب الفن للفن :

هناك مذهب شهير فى الفن يطلق عليه أصحابه مذهب « الفن للفن » ، ويعنون بذلك أن قيمة الفن تكمن فى ممارستنا المباشرة له ، وليس فيما يقال عن تأثيره الإيجابى فى السلوك ، لذلك فالفن ـ من وجهة نظرهم ـ لا يحمل مضمونات أخلاقية .

ويزعمون أن المعايير الأخلاقية والدينية والفلسفية غير ذات مغزى تجاه قيمة العمل الفنى ، فالفن لايهدف ـ أساساً ـ إلى إعلاء قيم الفضيلة والحق والخير .

ومن ذلك نتبين خطورة مذهب « الفن للفن » على سلوك الفرد والمجتمع ؛ لأن الفن حينما ينشأ بعيداً عن الدين ، فإن معنى ذلك أن يكون الفن غاية فى نفسه ، بحيث ينشأ نشأة فنية بحتة منقطعة الصلة بالقيم والمبادئ والأخلاق .

ولذلك فنحن ـ إنطلاقاً من عقيدتنا ـ نرفضه ، بل ونحارب هذا المذهب ، ولسنا بذلك نحارب الفن ذاته ، ولكننا نحارب مبدأ سائداً فى الفن .

والفن الذى ندعو إليه ، ويدعو إليه كل من كانت الأخلاق وجهته ، هو « الفن للفضيلة » و « الفن للأخلاق » و « الفن للدين » أو « الفن الموجه » ، وهذا يتعارض ويتناقض تماما مع « الفن المطلق » و « الفن المتحرر » و « الفن المكشوف » و « الفن الإباحى » أو « الفن اللادينى » .

إن هذا اللون من السلوك ، وهذا التصور للحياة ، وهذا الطابع للأخلاق هو الذى نحاربه فى الفن ، وفى الأدب ، وفى السينما ، وفى المسرح ، وفى التصوير ، وفى

النحت ، وفى الغناء ، وفى الموسيقى ، فلابد من توجيه لهذه الفنون نحو الحق والخير والجمال ، لأن « الفن قيد » و « الحرية قيد » و هذا هو الذى يقود الفنان الإنسان إلى معنى « الجمال الحق » .

وقد سأل طالب أستاذه قائلاً : لماذا يجب أن نكون « أخلاقيين » فى الفن ؟!

فأجابه الأستاذ قائلاً : « لأن ذلك غاية الجمال » .

إن مظاهر الفن عند كل شعب مقياس لأخلاقه ، فيجب على أرباب الفن والأدب أن يستلهموا أفكارهم وأعمالهم الأدبية والفنية من قواعد الدين والأخلاق ، لأن كل فن وكل أدب لا يهدف إلى إعلاء القيم وإلى التعبير عن المثل العليا ، يمكن اعتباره أدباً أو فنا هزيلاً شاحباً ؛ لأنه ـ فن أو أدب ـ « ولد ميتا » .

إن هذا الاضطراب الذى ساد مفهوم « الفن » راجع إلى اختلاف المنطلق العقدى الذى يبدأ منه المفكرون ، وإن تزعزع القيم الدينية فى الغرب ، والموقف الذى وقفه المفكرون والأدباء والفنانون عامة من التصورات الكنسية وتاريخها قد ساعد على محاولة إقصائها عن الحياة والفكر والفن بصفة عامة ، وهى ظاهرة الخصام بين الكنيسة والفن ، كما حدث بينها وبين السياسة والعلم ، وقد ساهم هذا الموقف فى انحرافات خطيرة للفلسفات والآداب الأوربية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل انتقلت عدواه إلى بلدان العالم الإسلامى والشرق بصفة عامة ، على الرغم من عدم وجود مبررات حقيقية لهذا الخصام فى إطار المفهوم الإسلامى ، ومهمتنا أن نقضى على ظاهرة الخصام المفتعلة التى يحاول الضالون والمخدوعون الترويج لها فى مجتمعنا الإسلامى ، لأن الإسلام يعلى القيم الجمالية ، ويحيطها بسياج من العفة والنقاء والطهر ، ويفتح الباب واسعاً أمام الإبداعات الفنية والأدبية .

إن الفنان الحق هو الذى يسمو بنفسه فيرفض مذهب « الفن للفن » الذى يجعل من الفن غاية فى ذاته ؛ لأن الفن الحق مقصوده التأثير فى الحياة ، التأثير القوى الحسن، الذى يقوى الحياة الضعيفة ، ويزيد الحياة القوية قوة على قوة . . . وفى هذا يقول شاعر الإسلام محمد إقبال :

أنت تحت الشمس تمضى كشرار  لست تدرى ما مقامات الوجود

ليس فى فنك للذات بناء  ويح تصوير وشعر ونشيد

فلابد للفن أن يترك أثره على الحياة ، وما قميته إن لم يفعل ؟! إنه لن يكون

جديراً أن يكون فنا !!

## أخلاقية الفن والمتعة والتسلية :

« إن الفن الصادق أخلاقى بطبيعته يختبر القيم ويوقظ المشاعر الصادقة ، ويستحثها لكى تميز بين الجيد والردىء فى سلوك الإنسان ، ولا يعنى ذلك أن يكون الفن متخماً بالمواعظ الدينية أو الأخلاقية من أوامر ونواه ، أو بعبارة أخرى أن يكون الفن تعليماً ، فالتعليمية والفن الأخلاقى الرفيع يتنافران ولا يتمازجان، وعلى أية حال ، فالفن الإسلامى فن مفتوح ، واسع الآفاق.

والفن الإسلامى تتحد فيه جماليات الشكل مع جماليات المضمون ، فالشكل والمضمون يتبادلان التأثير فيصبح العمل الفنى أكثر جمالاً ، يثير فينا المتعة المرجوة من الأثر الفنى ، هذا إلى جانب المنفعة ،فالجمالية تضفى قيمة على الشكل والمضمون معاً، وليس على الشكل فقط كما يظن بعض دعاة « الفن للفن » حيث إنه لا يمكن فصل الشكل من المادة ( المضمون ) فى تجربتنا المباشرة مع العمل الفنى بصورة واضحة » (١).

فعندما أستمتع بقراءة قصيدة لا أستطيع القول: إننى مدين فى هذا الجزء من تجربتى إلى الفكرة ، وفى ذاك الجزء إلى اللغة ، أو الصور الشعرية، أو الإيقاع الذى ينقل التجربة، مجمل تجربتنا مع القصيدة ( العمل الفنى ) لا يقبل التجزئة ،رغم أن بعض العناصر قد تقع فى منطقة الضوء ،والأخرى فى الظل، فهى ما تزال تؤثر فينا مجتمعة (٢) .

ومن بين ما يتهم به الأدب و « الفن » الإسلامى أنه قد يهتم بالأمور الجادة فى الحياة ، ولكنه لا يهتم بالمتعة والتسلية ، اللذين قد يبحث عنهما المتلقى فى إطار العمل الفنى والأدبى، ودفعاً لهذا الاتهام نقول : إن الفن الإسلامى لم يبدع من أجل الإبداع، كما يقول أتباع مذهب « الفن للفن » ، ولكن دوره فى تشكيل الوجدان بما يبثه فيه من عطاءات فكرية وعاطفية ، كما أن هدفه ـ لا نقول تغيير الحياة ـ ولكن تطويرها والارتقاء بها إلى المستوى الأفضل والأجمل عن طريق ترسيخ العقيدة وبذرها فى النفوس ، وغرس مبادئ الحق والخير والجمال فى الصدور ، والتباعد عن الرذيلة

---

(١) كمال خليفة :مجلة الوعى الإسلامى ـ عدد ٣٥١ ،ص ٥٧ .

(٢) ر . ف . جوش :الجمالية ـ ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ـ الكتاب الثالث ـ المجلد الأول ـ موسوعة المصطلح النقدى ـ مؤسسة الدراسات والنشر ، ص ٢٨٢ .

والقبح ، فالهدف الأسمى للفن الإسلامى هو السمو بالإنسان فكراً وروحاً وسلوكاً ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يغفل المتعة والتسلية ،إذًا الإسلام لم يحرم مثل هذه الأمور ، وبالتالى فهو لا يضيق بها [1].

إن المتعة حالة نفسية أو وجدانية يتجسد فيها الارتياح والرضا والاهتمام والشغف ، والأمر يتعلق بنواح عديدة لتحقيق تلك المتعة ، فالدراما الناجحة تبعث على المتعة ، والكوميديا المصنوعة ببراعة تحرك شعور المتعة ؛ ولهذا فإن الحدث الذى يبعث على الأسى ، والحدث الذى يدفع فى النفس بموجات الفرح ، يستويان فى خلق المتعة ، على الرغم من اختلافهما فى الطبيعة والتأثير والإيحاء ؛ لأن كليهما يبعث لونا من اللذة أو النشوة الروحية أو الفكرية ، ويحركان فى الوجدان ألواناً من الانفعالات ، وفى الفكر ألوانًا من القناعات ، أو التساؤلات ، أو الاعتراضات ، وفى ذلك كله متعة للعقل والروح والخيال ،وهذه المتعة تنبع من الشكل والمضمون معاً ، فالقضية أو الموضوع الذى يعالجه العمل الفنى بما فيه من بداية وعقدة ونهاية ، وبما يتطعم به من تشويق وإثارة وترقب ، ثم نمو الحدث ، وتصوير الشخصيات والحوار المعبر المتميز فى القصة أو الرواية أو المسرحية ، وغير ذلك من العناصر التى ترتبط بكل لون من ألوان الأدب ، كالموسيقى والثقافة فى الشعر ، فهذه العناصر المتضمنة فى العمل الفنى والأدبى شكلاً وموضوعًا هى التى تكون عنصر المتعة لدى المتلقى ، كما أن انتصار الخير على الشر متعة ، واندحار القيم الرذيلة متعة ، والارتقاء بالإنسان والأخذ بيده ليتمكن من أداء مهامه المنوط بها فى الحياة متعة ، ونشر القيم السامية والفضائل الإيمانية والتعاطف مع الضعفاء وانتشال المخطئين من توقعات الرذائل ـ كل ذلك ـ متعة ، كما أن التنفير من الانحطاط والحث على الفضائل واعتناقها متعة [2] .

---

(١) كمال خليفة : مرجع سابق ،ص ٥٧ .

(٢) د . نجيب الكيلانى :آفاق الأدب الإسلامى ـ مؤسسة الرسالة ، ص ١٢٢ .

## الفنون الحديثة والإبداع التربوى

« الإبداع » تعبير يقصد به المقدرة على عمل شىء جديد ومبتكر ، وإخراجه إلى حيز الوجود ، والإبداع فى الفن والأدب معناه :الخروج على أساليب القدماء باستخدام أساليب جديدة ، وقد وردت فى القرآن الكريم هذه الكلمة فى أربع آيات ،ومنها قوله تعالى: ﴿ بديعُ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [ البقرة ] ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض على غير مثال سابق .

و« المبدع » فى العلم والفن:هو الشخص القادر على إدراك الروابط الخفية بين الأشياء .

يقول بعض كتاب الغرب ـ والمتحدثون بلسانهم بيننا :حرية الإبداع هى القدرة على اقتحام المحرمات الثلاث : الدين والسياسة والجنس ، فهى المجال الحيوى الذى يتحرك فيه الإبداع ، ومعنى هذا أن حرية الفنان فى الإبداع هى التى تتيح له تجاوز الضوابط والحدود والحرمات ، بل وإهانة المقدسات ، والاستهانة برموز الدين ، وتجريد كل ذلك من الأخلاق الفاضلة .

وهذه النظرة أدخلت فى بيوت بعض المسلمين كل معانى الفحش والرذيلة بدعوى الضرورة الفنية وحل مشكلات المجتمع .

وفى الغرب يدخلون إلى عالم الإبداع مجردين من القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة ويجعلون ذلك غايتهم ، وذلك مقبول عندهم بكل صورة ، فالإبداع فى الغرب لا حدود له ، والحرية لما يسمونه المبدع شاملة وكاملة .

والإبداع الفنى فى الغرب يجعل الصور المحسة بعامة وجسم الإنسان بخاصة له المقام الأول فى فلسفة الجمال ، وهذا معناه الهبوط بالفن إلى التقليد اللاواعى والمحاكاة اللاواعية ، ولذلك فإن أغلب الأعمال الفنية ما هى إلا حوار مكرر من الإنسان وصورته وتقوقع الإنسان داخل نفسه .

والسينما تصور المرأة ـ فى الإبداع الغربى ـ وكأنها لم تخلق إلا لمتعة الرجال ، وخيانة الرجل لزوجته ، وقد اختفت صورة المرأة المكافحة التى تعيش فى ظل المعانى الأسرية ، وتصورها على أن لها الحق فى ممارسة كل الأفعال غير الأخلاقية فى حرية تامة ، وإلا فهى الضحية وهى المظلومة فى حقوقها الإنسانية .

وباسم الإبداع والفن والحب ترتكب كل الآثام ، ثم تلتمس لها الأعذار ، وقد أصبح أبطال الشاشة هم القدوة والمثل للشباب ، فهم يقلدون ما يرونه فى السينما من تصرفات وملابس وأزياء وأفكار .

وإجمالاً ، فإنهم فى الغرب ـ وأذيالهم فى الشرق ـ يقولون : إن الدين قيد على الإبداع والفن والجمال .

وهذا زعم لا أساس له، فالدين ـ ونعنى الإسلام ـ دعا إلى إعمال العقل والتفكير، والنصوص القرآنية تحث على التفكر والتدبر، ففى ذلك آيات لقوم يتفكرون، وعبرة الأولى الألباب وأصحاب العقول المتدبر والمفكرة ، يقول الله تعالى فى ذلك : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩)** ﴾ [ العنكبوت ] ، ويقول : ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)**﴾ [ العنكبوت ] .

وقد عاب القرآن الكريم على أقوام لم يفكروا ولم يفقهوا ووصفهم بأنهم كالأنعام، بل هم أضل ؛ لأنهم لم يوظفوا حواس التفكير والتدبر ، فقال : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)** ﴾ [ الأعراف ] .

فالإسلام دعا إلى الفكر والتدبر وهو الدين الذى قال : ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)** ﴾ [ النمل ].

فالإبداع الإسلامى يستوعب كل ما فى الحياة وفق التصور الإسلامى الصحيح لهذه الحياة ، بحيث لا يزيف حقيقة ولا يخلق وهماً فاسدا، ولا يحابى ضلالاً ، ولا يزين ، نفاقاً ، بل إنه يطلق نيرانه على شياطين الانحراف والقهر والظلم ؛ لأن له وظيفة فى هذه الحياة ، هى تحقيق وظيفة المسلم طبقاً لمنهج الخالق سبحانه وتعالى .

ومن ثم فإنه ينهض بعزائم المستضعفين وينصر قضايا المظلومين ويبشر بالخير والحق والجمال ، ومن هنا فإن الإبداع فى الإسلام لا يكون عبثياً ، بل إنه إبداع الضمير الحى والوجدان السليم والتطور الصحيح والخيال البناء والعواطف المستقيمة، فهو لا يتجه إلى انحراف نفسى ، ولا إلى اعتلال شعورى ، ولا إلى مرض فلسفى ،وما إلى ذلك مما نراه فى الحضارة الغربية .

وهو يقوم أيضاً على تأصيل القيم الجمالية والمضامين الفكرية الأصيلة ، وهو وثيق الصلة بالصحوة الإسلامية فى جميع المجالات .

والمبدع المسلم خاضع لحساب الضمير ولحساب المجتمع فى الدنيا ، وخاضع لحساب الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، وحريته تكون فى إطار المنهج الإلهى .

والإبداع فى المنهج الإسلامى وسيلة من وسائل التربية ، وله تأثيره المتميز على نفسية المتلقى وفكره ، حتى وإن لم يدركه .

والفكر فى الإسلام مطلق بلا حدود، ولكن على ألا يتعدى المفكر بفكره ، والمبدع بإبداعه الثوابت التى جاءت ثابتة فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولا يمكن للمبدع المسلم أن يقول : إنه لا علاقة للدين بالإبداع، أو يزعم أن الدين لا علاقة له بالفن .

ذلك لأن الدين الإسلامى جزء من كيان الإنسان ، بل إن الإنسان الذى لا دين له ما هو إلا حيوان ، ولا يمكن لحيوان أن يبدع أو يفكر؛ لأن الإبداع الفكرى والإبداع الفنى صفة من صفات الإنسان الذى يحس بوظيفته فى الحياة فى عمارة الأرض ، وفى عبادة الله تعالى بالمعنى الشامل للعبادة ، ولذلك فلا يوجد فى الإسلام رذيلة ولا يوجد انحلال أو انحراف أو تفسخ مشروع .

والحرية فى الإسلام لها ضوابط وقيود ، ويمكن لأى مسلم أن يفعل ما يريد وأن يقول ما يريد مادام ملتزماً بهذه الضوابط ، ومن هنا فإننا نجد الإسلام قد شجع الناس على التعامل بما خلق الله تعالى فى الطبيعة من جمال السماء والأرض .

والإسلام وهو يربى الروح يعمل على إثارة الحياة فيها عن طريق النظر والتفكر ، ثم يوجه القلب البشرى إلى علم الله تعالى الشامل لكل ما فى الحياة ، وإذا كان الغرب يعمل على إبراز الجنس فى نوحة الإبداع والفن ، فإن الإسلام يصور الحب بالمعنى الشامل للحب والجمال ـ الجمال الأكبر المستمد من ناموس الكون ـ وهو الذى ينبغى أن تمارسه الفنون الإنسانية الرفيعة التى تتجاوب تجاوباً صحيحاً مع حقيقة الوجود ، وذلك هو الجمال الذى يؤدى وظيفته فى هذه الحياة .

وذلك هو الإبداع الذى يجعل المسلم قادراً على الانسجام مع نفسه ومجتمعه ومع الكون ، ومع ربه « سبحانه وتعالى» ، وهذا ما يميز المبدع المسلم عن غيره ممن يسمون أنفسهم بالمبدعين فى الشرق وفى الغرب على السواء !!

ولذلك ، فلا بد وأن تضع الحكومات الإسلامية أجهزة للإشراف على الفكر الفاسد الذى يضر بعقول الناس تحت اسم الإبداع ، فالكلمة الملوثة أخطر على الإنسان من الأدوية الفاسدة ؛ لأنها تعم الناس جميعاً ، وآثارها أكبر وأخطر .